

(المحاضرة الخامسة عشرة)

تربة الفخر الفارسي

بالمراغة الصغرى

تأليف



« المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية »

« بوزارة الاوقاف »

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٤٠ هجرية — ١٩٢٢ ميلادية)

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر



الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على اشرف المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . وبعد دعاني بعض الافاضل في سنة ١٩١٣ ميلادية الى زيارة آثار القرافة الصغرى بسفح المقطم من جهة الامام الشافعي لاقص عليهم تاريخ السالفين . واظهر لهم الدفين من الدفين فيممناها اثرا بعد اثر . وانتهى بنا المطاف الى زيارة مقام الامام ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الفارسي رضى الله عنه فقرات امامهم الكتابة المنقوشة على (شاهد) القبر .

ثم ظهر ان صاحبه من الرجال العظماء والحفاظ الاعلام -- عند ذلك طلبوا الى ان اوضح لهم حقيقته .

واشرح لهم بعض الكلمات المنقوشة على قبره . فلبيت طلبهم لما فيه من المنفعة العامة . وكتبت مقالة عن ذلك الاثر ارسلتها الى صديقى الفاضل رمزى افندى تادرس صاحب مجلة رعمسيس الغراء فتفضل بنشرها فى مجلته فى الاعداد الاربعة الاول من السنة الثالثة

الح على الاخوان فى طبع هذه المقالة على حدتها لينتفع بها الجمهور خصوصا المحبون للآثار

ولما كنت اود ان لا اضيع فرصة فيها ارضاء التاريخ وخدمة اخوانى أبناء الامة المصرية . شرعت فى طبعها مضيفا اليها ابحاثا جديدة مما رأيته ماسا بها حتى يعم نفعها وتتم فائدتها .

والله اسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم . وأن يحفظ للامة المصرية ملكها المعظم .

صاحب الجلالة « فؤاد الاول » وان يشمل برعايته ولى عهده . وان يوفق رجال مملكته الى خدمة الامة الكريمة .

المؤلف

١٠ شعبان سنة ١٣٤٠ — يوسف احمد

٨ ابريل سنة ١٩٢٢

شكل رقم (١)



تجاه صفحة (٥) من تربة الفخر الفارسى

تربة الفخر الفارسى

فى منتصف الطريق المسلوك بين مقامى الامامين العظيمين . الامام الشافعى . والصحابى الجليل عقبة بن عامر الجهني [١] وبالقرب من قبر العلامة الامام الحافظ ابن حجر [٢] يوجد قبر مسنم للامام العلامة الفخر الفارسى —

(انظر الشكل رقم ١) بداخل حجرة بسيطة مسقفة لم يبق

......

(١) كنيته ابو عامر . ولى مصر من قبل معاوية وابتنى بها دارا وكان قارئا فقيها شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة توفى سنة ٥٨ من الهجرة

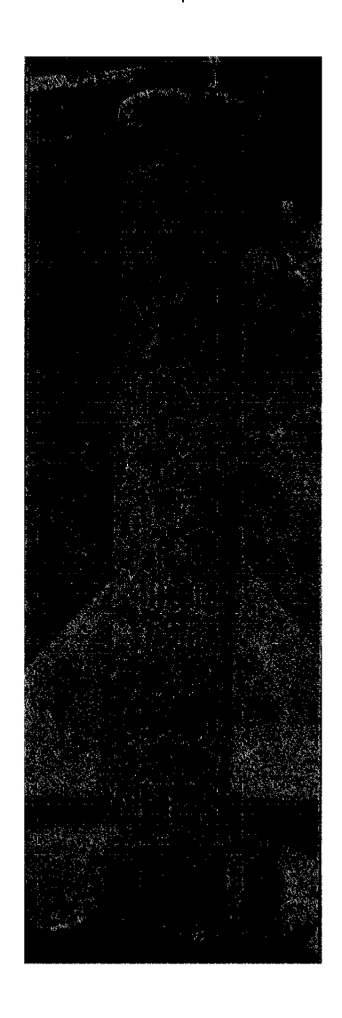
(٢) شهاب الدين ابو الفضل احمد بن على المعروف بابن حجر الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى من عسقلان . ولد سنة ٧٧٣ ومن اشتغاله بالعلوم على الدوام صار حافظ اهل زمانه وله وقوف تام على معرفة الرجال وكان هو المعول عليه فى تلقى الحديث — مات فى آخر ذى الحجة سنة ٨٥٢ هجرية .

من بنائه الاصلى سوى عمود من الرخام اسطوانى الشكل قطره ثلاثون سنتيمترا وارتفاع الظاهر منه الآن متران ومنقوش على نصفه الرأسى الغربى تسعة عشر سطرا بالخط النسخ الايوبى المتقن هذا نصها

« بسملة * الا ان اولياء الله لا خوف * عليهم ولا هم يحزنون * هذا قبر الصدر الامام الحبر * الهمام شيخ مشايخ الاسلام * سيد فضلاء الانام امام الموحدين * سند المحبين قدوة المحققين * والعارفين قطب الوقت سر الله * فى ارضه فخر الحق والدين حجة الاسلام * والمسلمين قامع المبتدعين شيخ * الورى حجة الحق على الخلق الغريب * ابى عبد الله محمد بن ابراهيم بن * احمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن * ابى الفوارس الخبرى (١) الفارسى * سقى الله

(١) الخبرى نسبة الى خبرة وهى علم لبليدة قرب شيراز من أرض فارس كما فى معجم البلدان .

شكل رقم (٢)



تجاه صفحة (٧) من تربة الفخر الفارسي

رسم المؤلف

صوب غفرانه * وكساه ثوب * رضوانه توفى يوم الخميس السادس * عشر من ذى الحجة من سنة اثنين * وعشرين وستمائه رحمة الله * عليه » انظر الشكل رقم (٢)

وعلى نصفه الآخر الشرقى منقوش كتابة بالخط الكوفى هذا نصها

« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون »

وباسفل هـذا السطر جزء مزخرف زخرفة بارزة . آية فى البهاء . وتحته منقوش كتابة بالخط النسخ المذكور عشرة اسطر نصها

« بسملة * يبشرهم ربهم برحمـة * منه ورضوان وجنات * لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها ابدا ان * الله عنـده أجر عظيم * والحمـد لله رب العالمـين وصلى * الله على سـيدنا محمـد خاتم * النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين * عمل سليمن » انظر الشكل رقم ٣

وبما انى تعرضت الى القبر رأيت من واجبى التاريخى ان اذكر شيئا من تاريخ حياة صاحبه وما كان عليه قبره معتمداً فى ذلك على الكتب التاريخية القديمة مفسرا بعض الكلمات المنقوشة على العمود فاقول :

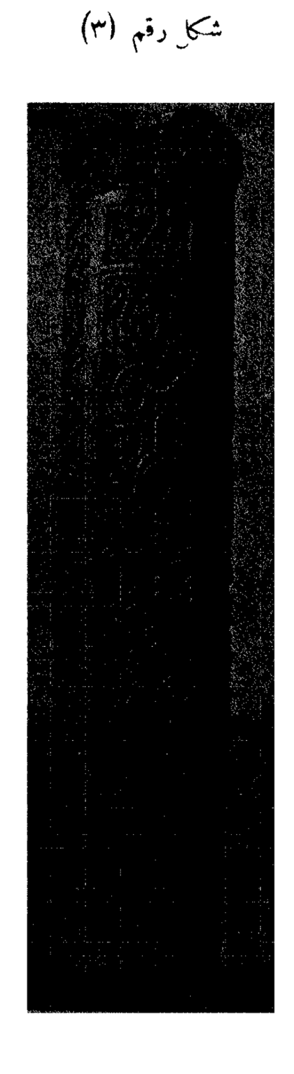
جاء فى كتاب الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة لابن الزيات المتوفى سنة ٨١٤ هجرية تحت عنوان. « تربة الشيخ الامام العالم المحدث الصوفى المحقق فخر الدين الفارسى » ما ملخصه ·

نذكرها قبل الزربية[1] لان بها معبد ذى النون

---

(١) الزربية هنا وفى تحفة الاحباب للسخاوى صوابها « الزريبة » كما جاء فى فهرست الكواكب ـ ومعناها « الحظيرة » وهى ما أحاط بالشىء وتكون من قصب وخشب . وهى فى الاصل مأوى الغنم والابل يقيها البرد والريح . وحظيرة القدس الجنة . وفى الحديث الشريف — لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر

شكل رقم (٣)



من مخطوطات لجنة الآثار العربية

تجاه صفحة (٨) من تربة الفخر الفارسي

المصرى [١] قال الشيخ موفق الدين بن عثمان فى تاريخه :
كان السبب فى بناء المسجد ماحكاه الشيخ فخر الدين الفارسى وذلك انه رأى فى المنام انه واقف على قبر الشيخ ابى الخير التيناتى [٢] رحمه الله وهو ينظر الى الصحراء مملوءة بالرجال وعليهم ثياب بيض . وفيهم النبى صلى الله عليه وسلم .

....

أما الزبية فهى الطنفس وقيل البساط . وفى حديث أبي هريرة رضى الله عنه « ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل للزربية ، قيل وما الزربية؟ قال : الذين يدخلون على الامراء فاذا قالوا شرا أو قالوا شيئا قالوا : صدق . شبههم في تلونهم بواحدة الزرابى أو شبههم بالغنم المنسوبة الى الزرب فى أنهم ينقادون للامراء ويمضون على مشيئتهم انقياد الغنم لراعيها . اه ماخصا من لسان العرب —

قلت — واسم الحظيرة باق الى الآن بتحريف خفيف « حضير » ويراديه رحبة أمام مكان .

(١) هو أبو الفيض ذو النون المصرى واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمى مولى قريش توفى سنة ٢٤٥ هجرية بالجيزة وحمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته .

(٢) هو أبو الخير الاقطع الباحى أصله من المغرب وسكن

فقبل يده . فقال له : لم لاتبنى هذا المسجد ؟ فقال : يارسول الله مابيدى شيء . فقال : قل للمسلمين يبنونه .

ثم مشى الى أن اتى الى قبر ذى النون فوقف على شفير القبر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام عليك ياذا النون . فكأن القبر شق وقام منه رجل فقال وعليك السلام يارسول الله ورحمته وبركاته

ثم عدنا الى قبر ابى الخير التيناتى فقال : ياخر . ابن هذا مسجدا . فانه من توضأ ثم صلى فيه ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وسورة تبارك . وفى الثانية « فاتحة

....

التينات . كانت له فراسة حادة وكرامات كثيرة . مات بمصر سنة ٣٤٣ هجرية ودفن بجنب منارة الديلمية بالقرافة الصغرى كما جاء فى الطبقات الكبرى للشعرانى . — قلت — والديلمية كانت بحرى الفخر الفارسى فيما بينه وبين العلامة ابن حجر وكان بها سبيل بقى زمنا مديدا مشهورا باسم « الديلمى » اندثر من عهد قريب . وتربة أبى الخير باقية للآن بحرى الفخر على بعد نحو ١٠ امتار منه

الكتاب وهل اتى على الانسان . ويخرج من المسجد ووجهه الى القبلة الى أن ياتى الى قبر ابى الخير لم يسأل الله تعالى حاجة الا أعطاه اياها .

قال فانتبهت فذكرت هذا المنام فسمعه رجل وكان يملك داراً فباعها و بنى هذا المسجد . والتربة مباركة معروفة باجابة الدعاء .

وبهذه التربة قبر الشيخ الفقيه الامام المحدث فخر الدين ابى عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد بن ظاهر (١) ابن محمد بن ظاهر (٢) بن ابى الفوارس الخدرى (٣) الفارسى رضى الله عنه . يعد من طبقات ثلاث. من المحدثين والصوفية والعباد . وله مناقب مشهورة . وروى احاديث كثيرة. وصحب

(١ ، ٢) ظاهر فى الكلمتين صوابها « طاهر » كما المنقوش على العمود ، ويوافقه ماجاء فى تحفة الاحباب للسخاوى

(٣) الخدرى . جاءت هذه الكلمة فى الكواكب وتحفة الاحباب بالدال وصحتها بالباء كما هو المنقوش على العمود الرخام.

جماعة من القوم . منهم « نوربهار »[١] العجمى الكازرونى[٢] الفارسى .

فما رواه باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من تكلم وكذب ليضحك الناس ويل له ويل له ويل له :[٣]

وقد ذكره ابن ابى المنصور فى رسالته وحكى عنه قال:

(١) نوربهار جاءت فى الكواكب « نوربهار » وفى مصباح الدياجى لابن الناسخ « زربهار » قال : واسمه حسين ، وكان رجلا صالحا وقبره عند شباك الشيخ ، وكان خادما له .

(٢) الكازرونى نسبة الى « كازرون » وهى مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، يقال : هى دمياط الاعاجم وكلها قصور ونخيل وبساتين ممتدة عن يمين وشمال بينها وبين شيراز ثلاثة أيام ١٨ فرسخا اه معجم البلدان

(٣) ورد هذا الحديث في كتاب « احياء العلوم للغزالى » فى باب « آفات اللسان » بهذا النص « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له »

وجاء فى محاضرات الادباء للاصبهانى فى باب « النهى عن.

كنت عنده يوما فدخل عليه قوم يدعونه ليحضر عندهم فى زاوية تعرف بزاوية مسعود القرابلى . وكان السبب فى ذلك أن رجلا من الصالحين مات وكان مقيما بالقرافة . فاجتمع

تعاطى ما يضحك » بالنص الوارد فى الاحياء بدون لفظ « به »

وجاء فى مصباح الظلام للجردانى موافقا لما فى الاحياء واعقبه بما يأتى ـ قال المناوى : كره ايذانا بشدة هلكته وذلك لان الكذب رأس كل مذموم ، وجماع كل فضيحة ، فاذا انضم اليه استجلاب الضحك الذى يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة ، كان اقبح القبائح . ومن ثم قال الحكماء : ايراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة ؛ ومن ذلك ما يقع من أهل مصر ويسمونه بالانقاط وهو حرام لما يترتب عليه من الاذية

وقد ورد : الضحك ضحكان ضحك يحبه الله أى يرضى عن فاعله ؛ وضحك يمقته الله أي يمقت فاعله ويغضب عليه

فاما الضحك الذى يحبه الله فالرجل يكشر أى يتبسم فى وجه أخيه حداثة عهد به كأن كان صاحبه عن قرب وشوقا الى رؤيته

وأما الضحك الذى يمقت الله تعالى عليه فالرجل يتكلم

اصحابه وعملوا له وقتاواستدعوا له قوالا[1] يقال له الفصيح وكان قد انفرد بالغناء فى زمانه. فاما اجتمعوا واجتمع الناس وقلوبهم مجتمعة على سماع الفصيح. حضر الشيخ. وكان رضى الله عنه له حرمة عظيمة واصحابه بين يديه وفى خدمته. وكان الفصيح شابا حسن الصورة. فاحدق الناس بالشيخ فخر الدين الفارسى يتأملون ما يصدر منه. فاشار بابطال الفصيح. وانكر صورة الاجتماع من اجله. فسمع الفصيح ذلك فهرب خوفا من الشيخ. فكادت تزهق انفس الناس لفوات الامر الذى اجتمعوا له. فعلم الشيخ منهم ذلك فتكلم كلاما كثيرا. ثم قال لفقير مزمزم[2] يقال له على بن

بالكلمة من الجفاء والباطل ليضحك أو يضحك يهوى بها فى جهنم سبعين خريفا

وهذا الحديث رواه الامام احمد وأبوداود وغيرهما كالترمذي والحاكم رحمهم الله تعالى

(١) القوال هو « المنشد » فى العرف المصرى

(٢) الزمزمة الصوت البعيد تسمع له دويا. وفرس مزمزم

زرزور[١] قم فطيب القوم . فقام وجاس وسط القوم وكانوا جمعا كثيرا ثم انشد يقول :

ما زات اقيم مذهب العشق زمان

حتى ظهرت ادلة الحق وبان

في صوته اذا كان يطرب فيه . والمعني ان لهذا الفقير صوتا جهوريا حسناً ، ويؤيده ماجاء بعده من قوله ، قم فطيب القوم . ولا يكون ذلك الا من حسن الصوت

(١) قد ذكرتني لفظة « زرزور ، بما هو منقوش على المنارة القديمة اعلى الباب الاخضر بالمشهد الحسينى ونصه : بسملة — الذى افضى بانشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا الى الله ورفعا لمنار الاسلام الحاج الى بيت الله ابو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل الله منه وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الاصغر الذى انفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما اوصى به والده المذكور وكان فراغها فى شهر شوال سنة اربع وثلاثين وستمائة »

وتوجد بالمئذنة كتابة أخرى مؤرخة سنة ٦٣٣ ولا يبعد ان . يكون على بن زرزور هذا من اسرة أبي القاسم المذكور

ما زلت اوحد الذى اعبده

حتى رحل الشرك عن القلب وبان [١]

قال فقام الشيخ فخر الدين ووضع عمامته على الارض وحاج [٢] بهيبته وحرمته . واستغرق فى وجده . فلم يبق فى المجلس احد من الناس الا وكشف راسه وصرخ . فطابت نفوسهم . وحصل لهم احوال عجيبة لم يعهدوها قبل ذلك . ثم صحا الشيخ وغطى راسه . فصحوا وغطوا رؤسهم

....

(١) ورد هذان البيتان فى تحفة الاحباب فى غاية من السماجة والتشويه .

(٢) حلج فى المدو يحلج حلجا باعد بين خطاه . وحلج اذا مشى قليلا قليلا وهى لا ترتبط مع موضوعنا هذا . والصواب « حجل » كما فى تحفة الاحباب والحجل مشية المقيد . اذا رفع الانسان رجلا وتريث فى مشيه على رجل فقد حجل . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لزيد . انت مولانا . فحجل ، اي رفع رجلا وقفز على الاخرى من الفرح . قال ويكون بالرجلين جميعا الا انه قفز وليس بمشى اه ملتقطا من لسان العرب

متعجبين من صنع الله لهم وكيف عوضهم الله افضل مما فاتهم من الفصيح وسماعه .

وله مناقب مشهورة وقصته مع الملك الكامل [١] وما

---

(١) الكامل هو ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب . ولد فى سنة ٥٧٦ وولى مصر نيابة عن والده سنة ٥٩٦ ولما مات والده استقل بالمملكة سنة ٦١٥ واستمر حتى توفى سنة ٦٣٥ وكان يحب العلم واهله ويؤثر مجالستهم ، وشغف بسماع الحديث النبوى وحدث وبنى قبة الامام الشافعى سنة ٦٠٨ ودار الحديث الكامليه سنة ٦٢٢ . وغيرها . وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب عنها حظى عنده . وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فقصده الناس لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده . وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة — الخ اه ملخصا من المقريزى

— قلت . ومنه يعلم سبب ارتباط الفخر به

٢ — م

اتفق له من اجل الراهب [1] مشهورة .

وذكره الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى [2]

(١) بحثت كثيرا عن هذه القصة فلم اعثر الا على ما جاء فى « فوات الوفيات » حيث قال : الحبيش الراهب بولص كان كاتبا ثم ترهب وانقطع فى حلوان . وكان أول ظهور أمره أنه شبت نار بحارة الباطنية سنة ٦٦٣ بازاء جامعه واتهم بذلك النصارى فعزم الملك الظاهر على حرقهم . ولما جمعوا شفع فيهم الامراء بان يشتروا أنفسهم فقرر عليهم فى كل سنة ٥٠٠ الف دينار وضمنهم « الحبيش » المذكور ووضع الجباية عنهم . وقد وصل الى السلطان فى سنتين ٦٠٠ الف دينار من مال الحبيش المذكور وكان لا يأكل الا من الصدقة .

وفي سنة ٦٦٦ احضره الظاهر بيبرس وطلب منه المال أو يخبره بمورده فعجز عن الجواب فعذبه حتى مات

وافتى علماء اسكندرية بقتله خوفا من أن يفتتن به ضعفاء النفوس من المسلمين . اه ملخصا — قلت — ويعلم من هذا انه توفى بعد الكامل باحدى وثلاثين سنة وبعد الفخر باربع واربعين . فان كان هذا هو المقصود فقد عمر طويلا .

(٢) هو الحافظ الكبير الورع الزاهد زكى الدين أبو محمد

وعده من مشايخه . وكانت وفاته رضى الله عنه سنة اثنين وستين وستمائه [١] والى جانبه قبر ولديه ابى احمد محمد وشهاب الدين يوسف [٢] وعز الدين على بن يوسف [٣] وبظاهر المقصورة قبر الشيخ عنبر خليفة الفخر الفارسى اهـ

وفى مصباح الدياجى لابن الناسخ [٤] " . . . ثم تأخذ

. . . .

المصرى ولى الله والمحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمه الله قد أوتى بالمكيال الاوفر من الورع والتقوى والنصيب الوافر من الفقه . وأما الحديث فلا مراء فى أنه كان أحفظ أهل زمانه ، وفارس أقرانه ، له القدم الراسخ فى معرفة صحيح الحديث من سقيمه ولد سنة ٥٨١ وتوفى سنة ٦٥٦ وله تآليف عظيمة رحمه الله اهـ ملخصا من طبقات الشافعية لتقى الدين السبكى

(١) حقيقة التاريخ هى سنة ٦٢٢ . وقد جاء فى تحفة الاحباب خطأ ايضا ويظن انه نقل أقواله عن ابن الزيات .

(٢) وفى مصباح الدياجى . ان له ولدا واحدا هو الشهاب احمد

(٣) وفي تحفة الاحباب . ان عز الدين يوسف هو ولده لاسبطه

(٤) ابن الناسخ هو الشيخ مجد الدين محمد بن عين الفضلاء ذكره صاحب الكواكب مرة باسم الشيخ محب الدين الناسخ واخرى

من هـذا المشهد فى الطـريق المسلوك الى الفخر الفارسى فتجـد زاوية الشيخ فخـر الدين الفارسى . اشـتهر بكثرة الصيام واطعام الطعـام وله حكايات مشهورة . جليل فى المكاشفات . وله زاوية بها تلامذته واصحابه . وبجانبها معبد يقال انه معبد ذى النون المصرى .

والى جانبه قبر ولده شهاب الدين احمد كان يخبر باشياء يراها من الاموات .

وبهذا المشهد قبر الشيخ الصالح مغسل الصالحين .

وبهذا المشهد قبر الشيخ الصالح جمال الدين عنبر مولى الشيخ فخر الدين الفارسى اسـتخلفه الشيخ وقدمه واثنى

....

باسم مجد الدين عين الفضلاء الناسخ وثالثة باسم الشيخ مجد الدين ابن الناسخ . والكتاب المذكور الف فى القـرن السابع الهجرى وموجودة نسخة منه فى دار الكتب المصرية

وقد كان سياق الترتيب يحـتم على أن أتكلم عليـه أولا الا أنى لما وجدت ما فى الكواكب أوضح مما قيل هنا نقلت عنها اولا

عليه . وعند شباك الشيخ قبر الرجل الصالح حسين المعروف بزربهار خادم الشيخ فخر الدين . والى جانب قبره قبر الرجل الصالح الطواشى جمال الدين محسن خادم حجرة النبى صلى الله عليه وسلم . والى جانبه الشيخ سراج الدين المحتسب بجيزة مصر . والى جانبه قبر الشيخ بلال من اصحاب الفخر الفارسى الخ —

وجاء فى الفلاكة والمفلوكون[1] ما يأتى

" الفخر الفارسى . الفيرزابادى[2] نزيل مصر الشافعى الصوفى المحقق المحدث له مصنفات كثيرة منها كتاب مطية

(١) هو كتاب تأليف شهاب الملة والدين احمد بن على الدلجى تكلم فيه عن الفقر واسبابه والفقراء واتى على تراجمهم ؛ وآخر من ترجمهم نجم الدين ابن أخى شمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٧٦٢

(٢) فيروزاباد ضبطها ابن خلكان هكذا (فيروزاباد) وقال هى بلدة بفارس ويقال هى مدينة جور قاله الحافظ ابو سعد بن السمعانى فى كتابه الانساب ، وقال غيره : هى بفتح الفاء . اهـ

النقل وعطية العقل . والاصول . والكلام . وغير ذلك

كان فاضلا بارعا فصيحاً بليغا متكلما ذا معاملات ورياضات ومقامات الا انه كان بذيء اللسان كثيرا لوقيعة في الناس لمن عرف ومن لم يعرف كثير الجراءة لا يفكر فيما يقول وعنده دعابة في غالب الوقت كذا قاله عمر ابن الحاجب (١) وابن بعطة فيما نقله عنهما عماد الدين بن

وفي قاموس الامكنة ما يأتي : جور مدينة بفارس بينها وشيراز عشرون فرسخا اليها ينسب الورد الجورى . وهي ايضا محلة بنيسابور وقرية من قرى اصبهان . وقيل ان مدينة جور سميت في عهد عضد الدولة بن بويه فيروزآباد . اهـ

(١) هو ابو عمرو عثمان بن ابي بكر بن يونس الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب بجمال الدين كان والده حاجبا للامير عز الدين موسك الصلاحي وكان كرديا واشتغل ولده ابو عمرو المذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن والقراآت والفقه والعربية ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها وصنف في الفقه والنحو وكان من اصفا خلق الله ذهنا ثم عاد الى القاهرة وأقام بها والناس

كثير[1] فى طبقاته .توفى سنة ٦٢٢ اه

وترجمه العلامة الشيخ جلال الدين الاسيوطى[2] فى كتابه (حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهره) ضمن الكلام على من كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الاوائل فقال : ، الفخر الفارسى ابو عبد الله

....

ملازمون للاشتغال عليه ثم انتقل الى الاسكندرية فلم تطل مدته هناك وتوفى بها فى ٢٦ شوال سنة ٦٤٦ وكان مولده فى آخر سنة ٥٧٠ رحمه الله تعالى . اه ملخصا من ابن خلكان . قلت — ولعل ماجاء فى الفلاكة من الاختلاف فى الاسم هو تحريف فى النسخ .

(١) هو ابو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقى مات سنة ٧٧٤ وله كتاب طبقات عماد الدين والبداية والنهاية اه من كشف الظنون

(٢) هو عبد الرحمن بن الكمال ابن أبى بكر الاسيوطى . ولد فى سنة ٨٤٩ بمصر واشتغل بالعلم على جماعة من اكابر العلماء حتى أتقن جميع الفنون عدا فن المنطق وفن الحساب فانه قال : اما علم الحساب فانه أعسر شىء على وأبعده عن ذهنى . واذا نظرت الى

محمد بن ابراهيم بن احمد الشيرازى [1] نزيل مصر كان فاضلا بارعاً له مصنفات فى الاصول والكلام . مات بمصر فى ذى القعده [2] سنة ٦٢٢ وقد نيف على التسعين »

مسألة تتعلق به فكانما أحاول جبلا . وله تآليف كثيرة فى كل فن توفى سنة ٩١١ هجرية ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة وقبره ظاهر وعليه قبة . اهـ ملخصا من الخطط التوفيقية

(١) شيراز بلد عظيم مشهور وهى قصبة بلاد فارس فى وسط بلاده . وقد ذمها بعضهم بضيقة الدروب . فى وسطها قنوات جارية الخ ما قاله ياقوت . وقال ابن حوقل : شيراز مدينة اسلامية سميت تشبيها لها بجوف الاسد وايس عليها سور وهي مشتبكه البناء كثيرة الاهل الخ

وهى مدينة معروفة ببلاد العجم يبلغ عدد سكانها فوق الخمسة والعشرين الفا وهى قصبة بلاد فارستان فى واد مشهور بنضرته وبها مساجد واسواق منظمة ، وقد أصابها فى سنة ١٨٥٣ ميلادية زلزلة خربت جزأ عظيما منها اهـ قاموس الامكنة والبقاع

(٢) حقيقة الوفاة فى ١٦ ذى الحجة كما هو المنقوش على العمود

وجاء فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب [1] ضمن من مات فى سنة ٦٢٢ هجرية تحت عنوان الفخر الفارسى الشافعى مانصه : ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الفيروزابادى الشافعى الصوفى روى الكثير عن السافى [2] وصنف التصانيف فى التصوف والمحبة وفيها اشياء منكرة .

....

(١) تاليف أبى الفلاح عبد الحى بن احمد بن محمد بن العماد فرغ منه فى شهر رمضان سنة ١٠٨٠ هـ وهذا الكتاب بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٩

(٢) هو ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم سلفة الاصبهانى الملقب صدر الدين احد الحفاظ المكثرين ، رحل فى طلب الحديث ودخل اسكندرية سنة ٥١١ وقصده الناس من الاماكن البعيدة وانتفعوا به . وبنى له العادل ابو الحسن وزير الظافر العبيدى مدرسة فى سنة ٥٦٦ وفوضها اليه

ولد باصبهان سنة ٤٧٢ او ٧٨ وتوفى باسكندرية سنة ٥٧٦ اه ابن خلكان — قلت — فعلى ذلك يكون قد عاش الفخر بعده ٤٧ سنة

توفى فى أثناء ذى الحجة وقد نيف على التسعين . قاله فى العبر [١]

وقال اليافعى : هو صاحب العلوم الربانية النافعة وقد نعم عليه الذهبي .

وقال ابن شهبه فى طبقاته: سمع من السلفى وابن عساكر [٢] وغيرهما وكان صوفيا محققا فاضلا بارعا فصيحا بليغاً له مصنفات كثيرة الخ

(١) هو كتاب للحافظ المؤرخ شمس الدين ابي عبد الله محمد ابن احمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ بدأه من سنة الهجرة وانتهى فيه الى سنة ٧٤٠ ثم ذيله أناس بعده ذكرت اسماؤهم فى كشف الظنون

(٢) المعروف بابن عساكر اثنان أولهما ابو منصور عبد الرحمن ابن محمد بن الحسن الدمشقى الملقب فخر الدين المعروف بابن عساكر الفقيه الشافعى . كان امام وقته فى علمه ودينه ، درس بالقدس ودمشق وتخرج عليه اناس كثيرون وكان مسددا فى الفتاوى وهو ابن أخى الحافظ أبي القاسم على بن عساكر صاحب

وبما اننا اتينا فيما تقدم على ترجمة الفخر الفارسى فلنشرع الآن فى تفسير وشرح بعض الكلمات المنقوشة على العمود الرخام فنقول

القبر — هو مدفن الانسان وجمعه قبور ومقابر. والمَقْبَرَةُ

. . . . .

تاريخ دمشق . وخرج من بيتهم جماعة من العلماء . ولد فى سنة ٥٥٠ وتوفى سنة ٦٢٠ بدمشق بمقابر الصوفية

وثانيهما أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي الملقب ثقة الدين ، كان محدث الشام فى وقته ومن اعيان الفقهاء الشافعية ، اشتهر بالحديث وبالغ فى طلبه . وكان حسن الكلام عليه . وصنف التاريخ الكبير لدمشق فى ٨٠ مجلدا وهو على نسق تاريخ بغداد . ولد فى سنة ٤٤٩ وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ اه ملخصا من ابن خلكان —

قلت اذا كان أبو القاسم هذا هو الذى تلقى عنه الفخر الفارسي فيكون الفخر قدعاش بعده نحوا من ٥٠ سنة واذا كان الذى تلقى عنه هو الاول فيكون عاش بعده سنتين تقريبا والله أعلم

وَالمقبُرُةُ والمَقبَرُ موضع القبور . قال عبد الله بن ثعلبة الحنفى

ازور واعتاد القبور ولا أرى

سوى رمس اعجازعايه رُكود

لكل اناس مقبر بفنائهم

فهم ينقصون والقبور تزيد

وقال يحي بن حكيم البكرى الملقب بالغزال

ارى اهل الثراء اذا توفوا

بنوا تلك المقابر بالصخور

ابوا الا مباهاة وتيها

على الفقراء حتى فى القبور

قال الفراء فى قوله تعالى « ثم اماته فاقبره » اى جعله مقبورا ممن يقبر ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع ولا ممن يلقى فى النواويس (مقابر النصارى مفرده ناوُسُ) كأن القبر مما

اكرم به بنو آدم . ولم يقل فقبره لان القابر هو الدافن بيده والمُقْبِر هو الله لانه صيره ذا قبر وليس فعله كفعل الأدمى .

وللقبر أسماء كثيرة منها

الَجدث وجمعه أجداث . قال تعالى يوم يخرجون من ألاجداث سراعا . وفى الحديث نبوؤهم أجداثهم اى نسكنهم قبورهم .

ومنها الرمس وهو اذا كان القبر مدرما اى مستوياعلى وجه الارض فاذا رفع عن وجه الارض لا يقال له رمس

وفى حديث عبد الله بن مغفل المزنى : ارمسوا قبرى رمسًا أى سووه بالارض ولا تجعلوه مسنما مرتفعاً .

واصل الرمس الستر والتغطية ويقال لما يحثى من التراب على القبر رمس والقبر نفسه رمس : قال

وبينما المرء فى الاحيــاء مغتبط

اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير

أراد اذ هو تراب قد دفن فيه والرياح تطيره

وقال ابن الاعرابى : الراموس القبر والمرمس موضع القبر

ومنها الرَّيمْ قيل هو القبر وقيل وسطه

قال مالك ابن الريب

اذا مت فاعتادى القبور وسلمى

على الريم اسقيت الغمام الغواديا

ومنها الكدية أو الكرية أو الكروة والجمع كدى وكرى وهى الصحراء

قال النبي عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة حين لقيها فى طريق : من اين أقبلت ؟ فقالت من عند جيران لنا عزيتهم فى ميتهم . فقال لعلك بلغت معهم الكدى يعنى القبور فقالت لا : والله سمعتك تنهى عنها فقال . لو بلغت معهم الكدى وذكر وعيداً شديدا . وكداء الثنية العليا بمكة مما يلى المقابر وهو المعلى

وكانت مقابرهم في مواضع صلبة . وقد شرع لنا النبي (ص) دفن الاموات فى الصحراء لان الايمان بنى على النظافة فاذا دفن الميت فى الصحراء فالصحراء عطشانة فاى فضلة خرجت منه شربتها الارض فيبقى الميت نظيفا فى قبره .

ومنها التربة وكانت فى الاصل للقبر . قال البحترى

بى لا يغرى تربة محفورة

لك فى تراها رمة وعظام .

ثم استعملت فيما بعد ـ لما كثرت العمارة وتعددت الطرقات والشوارع فى القرافة ورغب كثير من الناس السكنى بها لعظم القصور التى انشئت فيها ـ للمساجد التى بها قبور فيقال تربة قايتباى وتربة برقوق وتربة الاشرف وتربة الشافعى وامثالها كثير .

ومنها اللحد وجمعه ألحاد ولحود وهو شق فى جانب

القبر . وقيل هو الذى يحفر في عرض القبر . ويقال لصانعه لاحد .

أما الملحد فهو العادل عن الحق المدخل فيه ماليس فية . والالحاد في اللغة الميال عن القصد والعدول عن الاستقامة والانحراف عنها .

قال عبد السلام الشاعر المعروف بدبك الجن المتوفى سنة ٢٣٥

جاءت تزور وسادى بعد مادفنت
فبت الثم خدا زانه الجيد
فقلت قرة عيني قد نعيت انا
فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامى فى ملحدة
ينهشن منها بنات الارض والدود
وهذه النفس قد جاءتك زائرة
هذى زيارة من في القبر ملحود

ومنها الجدف وجمعه اجداف . والجدف ابدال الجدث والعرب تعقب بين الفاء والثاء فى اللغة فيقولون جدث وجدف

ومنها البيت على التشبيه — قال لبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه

وعند الرداع بيت آخر كوثر

وفى حديث ابى ذر : كيف نصنع اذا مات الناس حتى يكون البيت بالوصيف .

قال ابن الاثير : اراد بالبيت ههنا القبر . والوصيف الغلام اى أن مواضع القبور تضيق فيبتاعون كل قبر بوصيف .

ووجد مكتوبا على قبر

عشت دهرا فى نعيم وسرور واغتباط

ثم صار القبر بيتى وثرى الارض بساطى

ومنها الضريح والضريحة : وهو شق فى وسط القبر وقيل القبر كله . وقيل هو قبر بلا لحد . وسمى ضريحاً لانه يشق فى الارض شقا . اولانه انضرح عن جانبي القبر فصار فى وسطه .

وفى حديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم : نرسل الى اللاحد والضارح فايهما سبق تركناه

ومنها البلد : وجمعه بلاد . قيل هو المقبرة . وقيل هو نفس القبر

قال عدى بن زيد

من اناس كنت ارجو نفعهم
اصبحوا قد خمدوا تحت البلد

وقال غيره

كل امرىء تارك احبته ومسلم نفسه الى البلد

وربما جاء البلد يعنى به التراب

ومنها الجبان . والجبانة الصحراء وتسمى بهما المقابر

لانها تكون فى الصحراء تسمية الشىء بموضعه

قال مالك بن دينار : قدم علينا بشر بن مروان اخو الخليفة فطعن فمات فاخرجناه الى القبر . فلما صرنا الى الجبان اذا نحن بسودان يحملون صاحبالهم الى القبر . فدفناه ودفنوا صاحبهم . فعدت قبل الاسبوع فلم اعرف قبر الاسود من قبره .

وعلى هذا قول الشاعر

ولقد مررت على القبور فما ميزت بين العبد والمولى

وقد امر بشر بن الوليد ان يكتب على قبره

من مات فات وفى المقابر يستوى

تحت التراب شريفه ووضيعه

ومنها الرجم : وجمعه ارجام . ويقال له رجمة ورجمة . قيل : الرجمة (بضم الراء) هى الحجارة التى تنصب على القبر . وسمى القبر رجما (بفتحتين) لما يجمع عليه من الاحجار

قال كعب بن زهير

انا ابن الذى لم يخزنى فى حياته

ولم اخزه حتى اغيب فى الرجم

اى فى القبر . والرجام والرجم حجارة ضخام دون الرضام وربما جمعت على القبر ليسنم . ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجموا قبرى . اى لا تجعلوا عليه الرجم ، واراد بذلك تسوية القبر بالارض وان لا يكون مسنما مرتفعا

ومنها الجنن : وجمعه اجنان ، سمى به لستره الميت وهو ايضا الكفن . واجنه كفنه

قال الشاعر

ما ان ابالى اذا مامت ما فعلوا

احسنوا جننى ام لم يجنونى

*
* *

حكم الصلاة فى المقبره

نهى النبى عليه السلام عن الصلاة فى المقبرة وذلك

لاختلاط ترابها بصديد الموتى ونجاستهم. فأن صلى الانسان فى مكان طاهر منها صحت صلاته. وذلك اذا لم تكن هناك مصلى. ويؤخذ من هذا ان النهى كان سببه الدفن فى الرمس. اما وقد زال الرمس فى هذه الايام فلا أرى سببا فى المنع

***

ما نهى عن فعله فى المقبرة

ونهى النبى ايضا عن تقصيص أى تجصيص القبر والعقد عليه وان لا يزاد على ترابه من غيره ولا يبنى عليه ولا يوطأ ولا يمشى عليه بنعال ولا يوقد فيه السرج.

وقد كره الامام الشافعى البناء على القبور فقال: وأكره ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وقد كان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى عزم على هدم كل مافى القرافة من البناء كيف كان فوقف له الوزير فى ذلك وفنده واحتال عليه بان قال له ان فيها مواضع الامراء واخاف ان تقع فتنة بسبب ذلك وأشار عليه بان يعمل فتاوى يستفتى فيها الفقهاء هل يجوز هدمها ام لا ؟ . فان قالوا بالجواز -- فعل الملك ذلك مستندا الى فتاويهم فلا يقع من ذلك تشويش على احد .

فاستحسن الملك ذلك وامره ان يفعل ما اشار به . قال : فعرض الامر على من وجد من العلماء فى الوقت مثل الظهير الترمنتى وابن الجيزى ونظائرهما فالكل كتبوا خطوطهم واتفقوا على لسان واحد انه يجب على ولى الامر ان يهدم ذلك كله . ويجب عليه ان يكلف اصحابها رمى ترابها فى الكيمان ولم يختلف فى ذلك احد منهم .

ثم اعطيت هذه الفتاوى للوزير ولا يعرف ما صنع

فيها ، وسكت على ذلك وسافر الظاهر الى الشام فلم يرجع ومات ودفن بدمشق (سنة ٦٧٦ هجرية) (١)

وذكر ابن الرفعة عن شيخه التزمنتى عن ابن الجميزى قال : جاهدت مع الملك الصالح فى هدم ما احدث فى القرافة من البناء فقال : امر فعله والدى لا ازيله : قال. وهذا امر عمت به البلوى وطمت . ولقد تضاعف البناء حتى انتقل للمباهاة والنزهة وسلطت المراحيض على اموات المسلمين من الاشراف والاولياء وغيرهم (٢)

* * *

أقسام القرافات

القرافة بمصر قسمان . ما كان منها فى سفح المقطم يقال له القرافة الصغرى وبها قبر الامام الشافعى

وما كان منها فى شرقى مصر « الفسطاط » بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى

(١) المدخل لابن الحاج ١٢٣ ح ١

(٢) حسن المحاضرة ٨٤ ح ١

وفيها كانت مدافن اموات المسلمين منذ افتتحت مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لهم مقبرة سواها (١)

وسميت المقبرة قرافه باسم قبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافه

وقد كانت مدافن الطولونيين بالقرافة الكبرى وسفح المقطم مما يلى قلعة الجبل حيث دفن الامير احمد ابن طولون (بقرب الامام الحافظ السيوطي) مما سنبينه فى المحاضرة الخاصة بترجمة حياة ابن طولون .

فلما قدم جوهر القائد الصقلى من قبل المعز لدين الله وبنى القاهرة فى سنة ٣٥٨ هجريه وسكنها الخلفاء الفاطميون اتخذوا بها تربة عرفت بتربة « الزعفران » قبروا فيها موتاهم ومحلها الآن « خان الخليلى » وما يجاوره

ودفن الرعية من مات منهم فى القرافة وكثير منهم

(١) مقريزى ص ٤٤٢ و ٤٤٣ حـ ٢

في قرافة السيدة نفيسة الى ان اختطت الحارات خارج باب زويلة (باب المتولى) فقبر سكانها موتاهم في الجهة المشهورة الآن بالدرب الاحمر والتبانة وماجاورها .

ولما مات امير الجيوش بدر الجمالى المستنصري في سنة ٤٨٧ هـ دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر اهل الحسينية في هذه الجهة (١)

ولما بنى الملك الكامل قبة الشافعى سنة ٦٠٨ هـ نقل الناس الابنية من القرافة الكبرى الى ما حول الشافعى وانشأوا هناك الترب الجليلة فتلاشى امر القرافة الكبرى من يومئذ

ثم اتخذت القرافة المشهورة بقرافة المجاورين وباب الوزير . ثم القرافة التى تلى قلعة الجبل بعد السبعمائة من الهجرة وهى المشهورة الآن بالسيوطى .

(١) مقريزى ص ٤٤٣ ج ٢

ولما كثرت الابنية والمساجد ومحلات العبادة بالقرافة استعملها الناس نزهة لهم وخصوصا فى ليالى الصيف والليالى القمرية فكان الرؤساء والوجهاء يبيتون بها

قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة(١) : « ... وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون فى ليالى الصيف يتحدثون فى القمر فى صحنه . وفى الشتاء ينامون عند المنبر . وكان يحصل لهم فيه الشيخ ابى حفص الاشربة والحلوى

(١) هذا الجامع يعرف بجامع الاولياء بالقرافة الكبرى ومشهور الآن بجوش « ابو على » قبلى عين الصير ولم يبق منه الا اطلال حيطه وقد كان طول ضلعه نحو ٦٠ مترا . وكان موضعه فى القديم عند فتح مصر يعرف بخطة المعافر · بنته السيدة تغريد وقيل تغريد ام العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله سنة ٣٦٦ محل مسجد بنى عبد الله بن مانع الذى كان يعرف بمسجد القبة . وقد حصلت فى جامع القرافة حادثة لابى كريت الحاوى ذكرتها فى صفحة ١٠٧ من المحاضرة الثانية الخاصة بمدينة الفسطاط

والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء . وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع . وكذلك اكثر المساجد التى بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل ما يحمل اليها ويعمل فيها من الحلوى واللحوم والاطعمه . .

وقال ابن سعيد : وبت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط بها منازل الاعيان . وقبور عليها مبان معتنى بها . وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الشافعى . وبها مسجد جامع وترب كيثرة ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى القمرية . وهى معظم مجتمعات اهل مصر واشهر منتزهاتهم وفيها أقول

ان القرافة قد حوت ضدين من

دنيا واخرى فهى نعم المنزل

يغشى الحمايم بها السماع مواصلا
ويطوف حول قبورها المتبتل

كم ليلة بتنا بها ونديمنا
لحن يكاد يذوب منه الجندل

والبدر قد ملأ البسيطة نوره
فكأنما قد فاض منه جدول

وبدا يضاحك اوجها كتيه
لما تكامل وجهه المتمثل

والاجماع على انه ليس فى الدنيا مقبرة اعجب منها ولا ابهى ولا اعظم ولا انظف من ابنيتها وقبابها وحجرها ولا اعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة فى جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها

قال شافع بن على :

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت

على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو

فالفيتها مأوى الأحبة كلهم

ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال ابو سعيد محمد بن أحمد العميدى

إذا ماضاق صدرى لم أجد لى

مقر عبادة الا القرافة

لئن لم يرحم المولى اجتهادى

وقلة ناصرى لم الق رافة [١]

* * *

اقول بعض القرافات الآن غير معتنى بها فشوارعها ضيقة ومتربة وغير منتظمة وبها كثير من العطف والازقة المتعرجة لا يكاد الانسان يهتدى الى الطريق العام منها الا بمشقة زائدة .

---

(١) مقريزى ص ٤٤٤ جـ ٢

وتشييد القبور وزخرفتها لا تغنى الموتى من الله شيئا بل لا ينفعهم الا ماقدمت ايديهم : « يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا »

والقبور وان تساوت فى الظاهر فهى مختلفة الاحوال فى الباطن فقد ورد فى الحديث الشريف

« القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار » فهو المؤمنين الذين سبقت لهم من الله الحسنى نعيم مقيم . ولمن ختم له بالشقاء عذاب اليم . نسأل الله حسن الختام

***

وفى سنة ٣٣٤ هـ ظهر بالقرافة شىء يقال له القطربة[1] تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من اولاد سكانها حتى رحل اكثرهم خوفا منها . وكان شخص من أهل كبارة مصر يعرف بحميد الفوال خرج من اطفيح على حماره

---

(١) القطرب نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى اكناف اليمن وصعيد مصر فى اعاليه — راجع المستطرف حـ ٢ ص ٩١ في الباب ٥٩ —

فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفا وعجزا . فحملها خلفه . فلم يشعر بالحمار الاوقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد اخرجت جوف الحمار بمخاليبها . ففر وهو يعدو الى والى مصر وذكر له الخبر . فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد اكل جوفها .

ثم صارت بعد ذلك تنبش الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين . فامتنع الناس من الدفن فى القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة .[1]

. . .

اتيت فيما مضى على تعدد أسماء القبور وأوصاف بعضها واثبت هنا على سبيل المثال بعض ماشاهدته من قبور الامراء فى العصور الاسلامية المتأخرة فاقول :

أولاً — تربة الامير الماس الحاجب المبنية سنة ٧٣٠ من الهجرة بجامعه الكائن بشارع الحلمية القديمة بمصر .

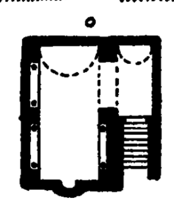
بعد ماينزل الانسان من سلم القبر يجد ردهة لطيفة

(١) مقريزى ص ٤٤٥ ج ٢

تسع النعش وعلى يسارها بناء معقوداً وبه من الجانبين صفف — حنايا — مرتفعة عن أرض التربة ومعقودة على عمد من الرخام . ويغلب على الظن انها كانت لوضع الاطفال الصغار عليها .

ويجد فى الامام على سمت القبلة محرابا مجوفا — انظر رقم ٥ من الشكل رقم ٤

— ولما كانت ارض هذه التربة مبنية بالبناء الصلب فرش فيها رمل منخول بارتفاع كثير لامتصاص الفضلات كما سلف بيانه .



رسم يوسف احمد (١١ رمضان ١٣٤٤)

المقياس

شكل رقم (٤)

وثانيا — (ترب بحجرة قبة الامير طراباى الاشرفى المبنية سنة ٩٠٩ من الهجرة

وكائنة بشارع باب الوزير بمصر)

تنقسم ارض هذه الحجرة الى قسمين متساويين بهما تربتان كبيرتان بينهما حاجز بالبناء ومنزلاهما بدون سلالم بالجناحين القبلي والبحرى للحجرة . ينزل فيهما بالميت متدليا من أعلى إلى أسفل . وفيما بين هذين المنزلين منزل آخر(٢) يوصل الى تربتين صغيرتين كائنتين اسفل المنزلين السالفى الذكر — انظر رقم ٢ من الشكل السالف الذكر

وارض هذه الترب الاربعة مفروشة بالرمل الناعم الاصفر بارتفاع يربوعن متر لامتصاص الفضلات.

أما الآن فقد تغير الحال عن قبل وتفنن المهندسون فى القبور حتى صارت على اشكال شتى هاك وصف بعضها

(١) تربة مفردة متوسطة مقاسها ٢٫٠٠ × ٢٫٢٥ م٢ ذات منزل يغطى باحجار تسمى « مجاديل » ثم يوضع فوقها

التراب وبعضهم يجعل بضع درجات فى ذاك المنزل — — انظر رقم (١) من الرسم رقم (٥) —

(٢) تربة مزدوجة (بروحين) أى منقسمة فى الوسط بحاجز من البناء والمنزل واحد يغطى كما سلف وهى تستعمل للذكور والاناث — انظر رقم (٢) من الرسم رقم (٥) —

(٣) ترب متعددة على صف واحد وامامها ردهة لايقل عرضها عن ٢,٠٠ م يوصل اليها من منزل واحد ذى درجات تكون كثيرة أو قليلة بحسب اتساع وضيق المكان. — انظر رقم (٣) من الرسم رقم (٥) —

وهذه الردهة يوضع فيها النعش استر الميت عن أعين المشيعين اثناء الدفن بدلا من ان يبقى خارجا عن التربة.

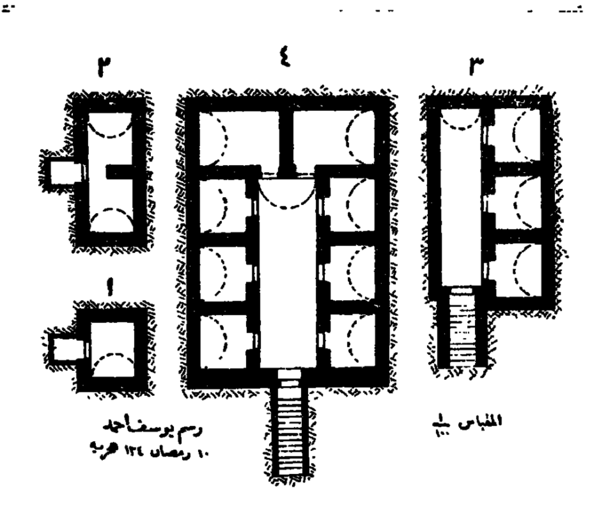
وهذا المنزل قلما يغطى بمجاديل. بل اعتاد بعضهم على تغطيته بكتل من خشب لسهولة فتحه عند الاقتضاء

(٤) ترب متعددة ذات اليمين وذات اليسار وفى الامام بينها ردهة تضيق وتتسع بحسب المكان ايضاً فاذا كانت كبيرة يجعل فى سقفها منور يغطى بزجاج سميك او طابق من حجر (بكابورت) ليسهل رفعه عند اللزوم لايجاد الضوء والهواء الى الردهة اثناء الدفن. ويغلق على كل نافذة من نوافذ الشكلين الثالث والرابع مصراع من خشب أو حديد او بلاط غلقا محكما لمنع انتشار الروائح اثناء فتح الباب العمومى. وسقفها اما ان يكون بناء معقوداً بالحجر او سقفاً من حديد وآجر وبمونة الاسمنت. أو غيره بحسب درجة صاحب المقبرة. —

— انظر رقم (٤) من الرسم رقم (٥) —

*
* *

(والصدر الامام) الصدر أعلى مقدم كل شىء. وأوله. حتى انهم ليقولون صدر النهار والليل. وصدر الشتاء والصيف،



رسم رقم (٥)

وما شبه ذلك . وهو الرجل الذى يعرف موارد الامور ومصادرها . وصدر الصدور هو القائم بأعباء الملك ، ويقال له الآن الصدر الأعظم . وهو فى مصر رئيس الوزراء والتصدر نصب الصدر فى الجلوس .

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : اذا دخلت منزل

اخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس فى الصدور . أى فى صدر المجلس .

وقال آخر : اياك وصدر المجلس وان صدّرك صاحبه فانه مجلس قلعة . (١)

وقال بعضهم :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا
مضافا لأرباب الصدور تصدّرا

واياك ان ترضى بصحبة ساقط
فتنحط قدراً عن علاك وتحقرا (٢)

دخل رجل على بعض الكبار فصدره . ثم دخل آخر . فقال له : تنح قليلا . فرفعه الى جنبه . ثم دخل آخر . فقال له مثل قوله . فلم يزل الداخل الأول يتنحى حتى صار فى وسط البساط . فقال لصاحب المنزل : قد تفرزنت أقوم

(١) المخلاة ص ٦٣ (٢) المخلاة ص ٢٤٢

فأرجع الى موضعي . فضحك منه وأعاده . (١)

و(الامام)لغة : المتبع . واصطلاحاً من يصح الاقتداء به . فكل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم اوكانوا ضالين يقال له امام . ويطلق على اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى : وكلّ شيء أحصيناه فى امام مبين . وعلى صحائف الأعمال كما فى قوله تعالى : يوم ندعوا كل أناس بامامهم . قالت طائفة بكتابهم : وقال آخرون . بنبيهم وشرعهم : وقيل بكتابه الذى أحصي فيه عمله . وعلى الامام الاعظم وهو النبى صلى الله عليه وسلم . ويجمع على أئمة كما فى قوله تعالى: وجعلناهم أئمة يدعون بأمرنا . وعلى امام فيكون مفرداً تارة وجمعا تارة أخرى نظير هجان . فيقال : ناقة هجان ونوق هجان . ككتاب وعباد . قال تعالى : واجعلنا للمتقين اماما

والامامية فرقة من المسلمين يقولون بامامة على بن

---

(١) محاضرات ج ١ ص ٣٣٦

أبي طالب كرم الله وجهه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولهم مباحث طويلة

وهم أصحاب الأئمة الاثني عشر : علي بن ابي طالب . والحسن . والحسين . وعلي زين العابدين . ومحمد الباقر . وجعفر الصادق . وموسى الكاظم . وعلي الرضى . ومحمد الجواد . وعلي الهادي . والحسن الخالص . ومحمد ابنه . رضوان الله عليهم أجمعين

وقال الحسن : لا غيبة لثلاثة — فاسق مجاهر وامام جائر ومبتدع (١)

وقال امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك الجويني (٢)

اذا سمتها التقبيل صدت تدللا

فقالت أما تخشى وانت امام

(١) الخلاة ص ٢١

(٢) لقب بامام الحرمين لانه جاور بمكة والمدينة اربع سنين يدرس ويفتي ويجمع طرق المذاهب . مات في سنة ٤٧٨ هـ كما ذكره ابن خلكان

أتحسب رشف الريق منى محالا

وريقى مدام والمدام حرام (١)

***

و(الحبر الهمام) الحَبْرُ والحِبْرُ هو الرجل العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه . وكان يقال لابن عباس رضى الله عنهما الحبر والبحر امامه . وجمعه احبار .

والهمام هو فى الاصل الملك العظيم الهمة . لانه اذا هم بأمر امضاه لا يرد عنه بل ينفذ كما اراد . وقيل : الهمام السيد الشجاع السخى . ولا يكون ذلك فى النساء

***

و(شيخ مشائخ الاسلام) الشيخ لغة هو الذى استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب . وحده من جاوز الاربعين. وقيل من ٥٠ الى آخر العمر . وقيل من ٥١ وقيل هو من

(١) المخلاة ص ٢٢٦

٥٠ الى ٨٠ . ويقال للذكر شيخ وللأنثى شيخة .
واصطلاحا : هو من بلغ رتبة أهل الفضل ولو صبيا . وله احد عشر جمعاً . كلها شاذة الاجمعين . شيوخ واشياخ .

قال ابن عباس فى من بلغ الاربعين ولم يتعظ : من أتى عليه اربعون سنة ثم لم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار.

وقال آخر :

اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن
له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى مضى
وان مد اسباب الحياة له العمر

وقال ابن المعتز :

احدى وخمسون لو مرت على حجر
لكان من حكمها ان يفلق الحجر

وقال رجل لعبد الملك : كم لك من السنين ؟

فقال : انا فى معترك المنايا ابن ثلاث وستين .

وقال آخر فى من بلغ السبعين : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة . (١)

وقال بعضهم :

اذا كانت السبعون داءك لم يكن
لدائك الا ان تموت طبيب
فان امرأ قد سار سبعين حجة
الى منهل من ورده لقريب
اذا ما مضى القرن الذى انت بينهم
وخلفت فى قرن فأنت غريب (٢)

وقال آخر فى من بلغ الثمانين

قالوا انينك طول الليل يقلقنا
فما الذى تشتكى ؟ قلت الثمانينا

(١) اسرار البلاغة ص ٣ (٢) اسرار البلاغة ص ١٧

وقال زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولا لا ابالك يسأم (١)

وقال أبو الحسن الجزار يهجو زوجة أبيه

تزوج الشيخ ابى شيخة ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها فى الدجى ماجسرت تتصورها الجن

كأنها فى فرشها رمة وشعرها من حولها قطن

وقائل قل لنا ما سنها قلت فما فى فمها سن (٢)

وقال محمد بن سليمان الطغاوى : حدثنى ابى عن جدى قال : شهدت الحسن البصرى فى جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضراً . فقال له الحسن وهو عند القبر : ما اعددت يا ابا فراس لهذا المضجع ؟ قال : شهادة ان لا اله

(١) محاضرات ص ١٤٩ ج ٢

(٢) اسرار البلاغة ص ١٤

الا الله منذ ثمانين سنة . فقال له الحسن : هذا العمود فأين الطنب ؟ فقال الفرزدق فى الحال

اخاف وراء القبر ان لم يعافنى
اشد من الموت التهابا واضيقا
اذا جاء فى يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى
الى النار مغلول القيادة ازرقا
يقاد الى نار الجحيم مسربلا
سرابيل قطران لباسا مخرقا (١)

ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً يرجف : فقال يا شيخ . ايسرك ان تموت ؟ قال لا قال : لم ؟ وقد بلغت من السن ما ارى . قال . ذهب الشباب

---

(١) كشكول ص ١٤١

وشره . وبقى الكبر وخيره . إذا انا قعدت ذكرت الله . واذا قمت حمدت الله . فأحب ان تدوم لى هاتان الخصلتان . (١)

ومدح بعضهم الشيوخ فقال : هم اشجار الوقار . ومنابع الاخيار . لا يطيش لهم سهم . ولا يسقط لهم وهم . ان رأوك على قبيح صدوك . او على جميل امدوك (٢)

وقال بعضهم .

لعمرك المشيب على مما

فقدت من الشباب اشدفوتا

عنيت الشباب فصار شيبا

وابليت المشيب فصار موتا (٣)

وكان من شأن الملوك اذا استوزروا ان يستوزروا المشايخ الذين اجتمعت لهم الحيلة والرياسة والعلم والتجربة

(١ و ٢ و ٣) المخلاة ص ٢٨٩

وتقول العرب : الغلام اذا بلغ عشرا قد رمى . وفى عشرين قد لوى . اى لوى يد غيره ، وفى ثلاثين قد غوى ، واربعين قد استوى . وفى خمسين قد حرى . اى صار حريا بأن يظهر فضله .

وقيل : ابن عشر طفل . وابن عشرين خل . وابن ثلاثين كهل . وابن اربعين معتدل . وابن خمسين مترحل .

وحكى عن بزرجمهر : ان الرجل اذا بلغ الخمسين فقد انكسر وقعد . واذا بلغ الستين فقد انضم . فاذا بلغ السبعين فقد عاد فى اخلاق الصبيان . واشبه ابن الثلاثين الكامل الشهوة : وابن العشرة الصبى . فاذا بلغ الثمانين فقد تقوس عقدها . فاذا بلغ التسعين فقد صار فى ضيق عيش كضيق عقدها . واذا بلغ المائة انتقل عن الدنيا انتقال عقدها الى اليد الاخرى

*
* *

و «الاسلام» لغة : الطاعة والانقياد . وشرعا : الانقياد والاستسلام الى الاعمال الظاهرة . وبهذا المعنى الشرعى الموافق للمعنى اللغوى يتوافق مع الايمان . فهما على هذا المعنى متلازمان . وقد يطلق بمعنى آخر شرعى فقط على الاعمال الظاهرة . فله حينئذ معنيان شرعيان باعتبار تعلقه بهما . وقد اطلق بعضهم اسم المرادف على الايمان والاسلام . والاظهر الذى قاله بعض المحققين واستعو به الجم الغفير من الاساطين انهما متلازما المفهوم فلا يعتبر فى الخارج ايمان بلا اسلام . ولا عكسه . اذلا ينفك أحدهما عن الآخر . ودليل ذلك قوله تعالى : ورضيت لكم الاسلام دينا : فان الاسلام يتناول العمل والاعتقاد معاً لأن العامل الغير المعتقد ليس بذى دين مرضى . ولا تصح أعماله بدون صحة الاعتقاد . وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن

يقبل منه: ولا يكون دين الاسلام مقبولا الا بانضمام التصديق اليه. ولهذا ابحاث طويلة فى كتب التوحيد فمن أراد فليرجع اليها

* * *

و (سيد فضلاء الأنام) السُّودَد والسُّؤْدَد والسُّوْدُد الشرف. والمَسُود الذى ساده غيره. والمسوّد السيد. وجمعه سادة. ويقال ان سادة جمع سائد. ويطلق السيد على معان كثيرة — منها — (الرب) روى مُطَرّف عن ابيه قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: انت سيد قريش. فقال النبي: « السيد الله » والمعنى انه مالك الخلق والخلق كلهم عبيده. فقال: انت افضلها قولا. واعظمها طولا. فقال النبي ليقل احدكم بقوله ولا يستجرئنكم.

قال ابو منصور كره النبي ان يمدح فى وجهه واحب التواضع لله تعالى وجعل السيادة للذى ساد الخلق اجمعين.

ومنها :« الشريف والفاضل » قال النبي (صلى الله عليه وسلم) للانصار حين اتى سعد بن معاذ : قوموا الى سيدكم . اى افضلكم رجلا واكرمكم .

ومنها « الكريم والحليم » قيل لأبى سفيان : بم نلت السودد ؛ فقال : لم يخاصمنى أحد الا جعلت بينى وبينه للصلح موضعا .

ومن أمثال العرب : احلم تسد

وقال معاوية لعرابة الاوسى : بم سدت قومك ؛ فقال لست بسيدهم . ولكنى رجل أعطيت فى نائبتهم . وحملت عن سفيههم . وشددت على يد حليمهم . وعطفت على ذى الخلَّة منهم . فمن فعل فعلى فهو مثلى . ومن قصَّر عنى فأنا أفضل منه ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى .

وقال معاوية أيضاً لأعرابى : من سيد قومك ؛ قال أنا ، فقال : هيهات . لو كنت سيدهم لم تقلها

ولما دخل السيد بن أنس على المأمون قال المأمون له: أنت السيد. فقال: أمير المؤمنين السيد. والمملوك ابن أنس.

ومنها «محتمل أذى قومه» كان سلم بن نوفل سيد كنانة. فضربه رجل من قومه بسيفه. فأخذ فأتى به. فقال له: ما الذي فعلت؟ أما خشيت انتقامي؟ قال: فلم سودناك؟ إلا أن تكظم الغيظ. وتعفو عن الجاني. وتحلم عن الجاهل. وتحتمل المكروه. في النفس والمال. فخلى سبيله. فقال قائلهم

يسود أقوام وليسوا سادة

بل السيد المعروف سلم ابن نوفل

وفد حاجب بن زرارة على أنوشروان فاستأذن عليه فقال للحاجب سله. من هو؟ فقال: رجل من العرب فلما مثل بين يديه قال له أنوشروان: من أنت؟ فقال: سيد العرب. قال: أليس زعمت أنك واحد منهم. فقال: انى كنت كذلك، فلما أكرمني الملك بمكالمته صرت سيدهم. فأمر بحشو فيه درا.

ومنها «الزوج. والرئيس. والمقدم. وكل من يفوق غيره

بالفضل والمال والدفع والنفع. المعطى ماله من حقوقه. المعين بنفسه » والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقال قيس بن عاصم لبنيه .

يا بنيّ احفظوا عني ثلاثا فلا أحد أنصح لكم مني . اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم . وعليكم بحفظ المال فانه منهبة للكريم . ويستغنى به عن اللئيم . وإياكم والمسألة فانها شر كسب المرء .

وقال عمر رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا . أى تعلموا العلم مادمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة رؤساء منظوراً اليهم . فان لم تعلموا قبل ذلك استحييتم أن تعلموا بعد الكبر ، فبقيتم جهالا لا تأخذون عن الأصاغر فيزرى ذلك بكم .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية. قيل ولا عمر .

وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن السيد . فقال: يوسف بن اسحاق بن يعقوب . قالوا فما فى أمتك من سيد ؟ قال بلى : من آتاه الله مالا . ورزق سماحة ، فأدى شكره . وقلت شكايته فى الناس . وسئل الأحنف عن السيد فقال : من كان له دين يحجزه . وحسب يصونه . وعقل يرشده ، وحياء يمنعه . وقال أيضاً : من حق فى ماله . وذل فى نفسه . وعنى بأمر عشيرته . وقال آخر : هو من اذا حضر هابوه ، واذا غاب ما اغتابوه .

وقال بعضهم : هو من أورى ناره . وحمى ذماره ، ومنع جاره . وأدرك ثاره .

و (فضلاء) الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة والجمع فضول . وفضلاء جمع فضيل . والفضيلة الدرجة الرفيعة فى الفضل ، والتفاضل بين القوم أن يكون بعضهم أفضل من بعض . قال تعالى : وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . يريد أن يتفضل عليكم . ويؤت كل ذى فضل فضله .

وأفضل الخلق هو النبى صلى الله عليه وسلم . كما قال صاحب الجوهرة

(وأفضل الخلق على الاطلاق نبينا فمل عن الشقاق)

و«الأنام» ـ ما ظهر على الارض من جميع الخلق. وقال المفسرون فى قوله عز وجل : والأرض وضعها للأنام . هم الجن والأنس وغيرهما .قال. والدليل على ماقالوا ان الله تعالى قال عقب ذكره الأنام : فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . ولم يجر للجن ذكر قبل ذلك . إنما ذكر الجان بعده فقال : خلق الانسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار . والجن والانس هما الثقلان . وقيل جاز مخاطبتهما قبل ذكرهما معا لأنهما ذكرا عقب الخطاب

قال المثقب العبدى

فما أدرى اذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى

أألخير الذى أنا أبتغيه ام الشر الذى هو يبتغينى

فقال أيهما ، ولم يجر للشر ذكر الا بعد تمام البيت

***

(امام الموحدين) — (الموحدون هم الذين يؤمنون بالله وحده ولا يشركون به أحدا . وقد تقدم الكلام على الامام . ويعني به هنا . انه هو المتبع لهؤلاء

— التوحيد — : لغة : العلم بأن الشيء واحد ، وشرعا . بمعنى الفن : وهو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية المكتسب من أدلتها اليقينية . وهو أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفاتا وأفعالا . والتوحيد هو اشرف العبادات . ويليه الصلاة . كما في حديث أبي سعيد . أن الله تعالى لم يفرض شيئاً أفضل من التوحيد والصلاة . ولو كان شيء أفضل منه لافترضه على ملائكته . منهم راكع . ومنهم ساجد

واحتيج لتبيين علم التوحيد . لما حدثت المبتدعة بعد الخمسمائة وكثر جدالهم مع علماء الاسلام وأوردوا شبها على

ما قرره الأوائل وخلطوا تلك الشبه بكثير من القواعد الفلسفية . قصد المتأخرون دفع تلك الشبه فاحتاجوا الى ادراجها فى كلامهم ليتمكنوا من ردها فما أدرجوها الا لغرض مهم .

وقد كان الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني يقول : جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة فى كلمتين ـ الاولى ـ اعتقاد ان كل ما تصور فى الاوهام فالله بخلافه . ـ والثانية ـ اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات

والتوحيد (قسمان) عام . وخاص . فالعام بالنسبة للجميع هو ـ أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال احديته . انه الواحد الذى لم يلد ولم يولد : بنفى الاضداد . والانداد . والاشباه . وما عبد من دونه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل . الهاً واحداً فرداً صمداً : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

(والخاص) — بالنسبة للفرد — هوأن يكون العبد شبحاً بين يدى الله عز وجل . تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته . فى لجج بحار توحيده . بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له . ومن استجابته بحقائق وجود وحدانيته، فى حقيقة قربه، بذهاب حسه وحركته، لقيام الحق له فيما أراد منه . وهو أن يرجع آخر العبد الى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون

***

و(سند المحبين) السند أصله ما ارتفع من الارض فى قبل الجبل أو الوادى . وجمعه أسناد . وساندت الرجل مساندة اذا عاضدته وكاتفته . وفلان سند أى معتمد .

قال بعضهم :

يقبل الارض عبد تحت ظلكم

عليكم بعد فضل الله يعتمد

ما دار مية من أسنى مطالبه

يوما وأنتم له العليا والسند (١)

وقال آخر :

جس الطبيب يدى جهلا فقلت له

ان المحبة فى قلبى فخل يدى

ليس اصفرارى لحمى خامرت بدنى

لكن نار الهوى تلتاح فى كبدى

فقال : هذا سقام لا دواء له

الا برؤية ما تهواه ياسندى (٢)

***

(قدوة المحققين والعارفين)

قِدْوَة وقُدْوَة وقِدَة لما يقتدى به أى أسوة يقال فلان قدوة يقتدى به . والمحققين الحريصين على الحق .

(١ و ٢) الخلاة ص ٢١٣ و ٢١٧

وبه فسر قوله تعالى : حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق.

و (العارفين) أى العالمين . يقال : رجل عروف وعروفة عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة والهاء فى عروفة للمبالغة . والعريف والعارف بمعنى . مثل عليم وعالم .

قال طريف بن مالك العنبرى

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسم

***

و (قطب الوقت) قطب كل شيء ملاكه . وصاحب الجيش قطب رحى الحرب. وقطب القوم سيدهم . والقُطْبُ والقَطْبُ والقِطَبُ والقُطُبُ . الحديدة القائمة التي تدور عليها الرّحي وتكون في وسط حجر الرحى السفلي

ويراد به هنا امام أهل الصلاح فى وقته

قال المناوى فى شرحه على الجامع : قال ابن عربى قدس

الله سره : من رجال الله تعالى رجل واحد وقد يكون امرأة في كل زمان . له الاستطالة على كل شيء ، شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق . يقول حقا ويحكم عدلا .

وفي زبدة الاعمال — : قال سراج الحرم ابو بكر السكستاني قدس سره

	عدد	
النقباء	٣٠٠	ومسكنهم الغرب
والنجباء	٧٠	مصر
والابدال	٤٠	الشام
والاخيار	٧	سياحون في الارض
والعمد	٤	في زوايا الارض
والغوث	١	ومسكنه مكة

فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء . ثم النجباء . ثم الاخيار . ثم العمد . فان أجيبوا ، والا ابتهل فيها الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته .

وقال المناوى : رأيت في شرح مقدمة الوصول للشيخ

ابراهيم المواهبي نقلاعن شيخه العارف أبي المواهب التونسي رضي الله عنهما : ان أول من تولى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء مدة حياتها . ثم انتقلت منها الى أبي بكر . فعمر . فعثمان . فعلي . ثم الحسن . رضوان الله عليهم أجمعين . لكن نقل عن العارف المرسي رضي الله عنه : ان أول الاقطاب مطلقا الحسن بن على رضي الله عنهما . اه (١)

وقال المناوي : فى كتابه ارغام أولياء الشيطان عن طبقات الاولياء : ان رجال الله على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة . فنهم من يجمع له الكل . ومنهم البعض . وما من طبقة الا لها لقب خاص . ومنهم من يحصرهم عدد فى كل زمن . ومنهم من لا عدد له . فيقلون ويكثرون .

الطبقة الاولى : الاقطاب : وهم الجامعون للأحوال

---

(١) نور الابصار

والمقامات اصالة أو نيابة . وقد يتوسع فى هذا فيسمى كل من دار عليه مقام من المقامات وانفرد به فى زمنه قطبا . لكن الاقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقا بغير اضافة لا يكون فى الزمان الا واحد. وهو الغوث وهو سيد أهل زمنه . ومحل نظر الحق

ومنهم من يحوز الخلافة الظاهرة والباطنة معاً . وهم قليل . كالخلفاء الاربعة . والحسن ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم . اه

ومنهم من له الباطنة فقط . كأحمد بن هارون الرشيد السبتى ، وأبى يزيد البسطامى ، رضى الله عنهما

وسئل الشبلى : لم سمى الصوفى ابن الوقت ؟ فقال : لانه لا يأسف على الفائت ولا ينتظر الوارد (١)

---

(١) كشكول ص ٨١

من كلام بعض أكابر الصوفية : ان فوت الوقت أشد عند أصحاب الحقيقة من فوت الروح لأن فوت الروح انقطاع عن الخلق وفوت الوقت انقطاع عن الحق (١)

***

(سر الله فى أرضه)

(السر) فى الاصل . اسم لكل ما يكتم . وهو هنا بمعنى البركة،أي. بركة أودعها الله فى عبده لكي يهدى بها خلقه

رجع ابو الحسين النورى من سياحة بالبادية وقد تناثر شعر لحيته واشفار عينيه وتغيرت صفته. فقيل له هل تتغير الأسرار بتغير الصفات ؟ فقال : لو تغيرت الاسرار بتغير الصفات لهلك العالم — ثم أنشأ يقول :

كما ترى صيرنى قطع قفار الزمن
شوقى عربنى أزعجنى عن وطنى
اذا تغيبت بدا وان بدا غيبنى

(١) كشكول ص ٩١

وقام يصرخ ورجع من وقته ودخل البادية .

وقيل له يوما : ما التصوف : فأنشد

جوع وعرى وحفا   وماء وجه قد عفا

وايس الا نفس   يخبر عما قد خفا

قد كنت ابكى طربا   فصرت ابكى اسفا (١)

قال ابو عبد الله جعفر الصادق رضى الله عنه : للمفضل ن صالح . ان لله عبادا عاملوه بخالص من سره . فعاملهم بخالص من بره . فهم الذين تمر صحفهم يوم القيامة فرغا فاذا وقفوا بين يديه ملأها من سر ما أسروا اليه . قال . فقلت يا مولاى : ولم ذلك ؟ قال : أجلهم ان تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم (٢)

***

(فخر الحق والدين . حجة الاسلام والمسلمين)

(١ و ٢) كشكول ص ٦٤ و ٢١٦

الفَخْر والفَخَر هـو التمدح بالخلاص والافتخار وَعَدُّ القديم ، التفاخر التعاظم . وفى الحديث : انا سيد ولد آدم ولا فخر . الفخر ادعاء العظم والكبر والشرف اى لا اقوله تبجحاً ولكن شكراً لله وتحدثا بنعمه .

و«الحجة» الدليل والبرهان . وقيل ما دوفع به الخصم :

وقيل الوجه الذى يكون به الظفر عند الخصومة ، ومنه الحديت : اللهم ثبت حجتى فى الدنيا والآخرة : أى قولى وإيمانى فى الدنيا وعند جواب الملكين فى القبر ، يعنى ان الله سبحانه وتعالى خلقه وخلق فيه الهداية والتوفيق فصار حجة للناس يقتدون به فى أقواله وأفعاله :

***

(قامع المبتدعين)

القمع : مصدر قمع : قهره وذلله . وقمعه : ردعه . وكفه ، والمعنى انه يردع المبتدعين بكلامه حتى تتصغر اليه نفوسهم

يقال: بدع الشيء يبدعه. وابتدعه انشأه وبدعه؛ وفى التنزيل: قل ما كنت بدعا من الرسل: أى ما كنت أول من أرسل. والبدعة فى الدين ما حدثت بعد الكمال.

قال ابن الأثير. البدعة قسمان: بدعة هدى وبدعة ضلال. فما كان فى خلاف ما أمر الله ورسوله به فهو فى حيز الذم والانكار. وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله ورسوله اليه فهو فى حيز المدح. وما لم يكن له مثال موجود؛ كالجود. والمعروف. فهو من الافعال المحمودة، وعليه الحديث: عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ.

رواه البخارى ومسلم.

* * *

(الغريب ابى عبدالله محمد)

(الغرب) الذهاب والتنحى عن الناس. وفى الحديث: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتغريب الزانى سنة عن بلده: والغربة، والغرب. النوى. والبعد.

قال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم. فقالوا الذى لاأحد له. فقال: بل الغريب الذى مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم.

و(ابى عبد الله): هذه كنيته. والكنية ماصدرت بأب، او أم. او ابن، اوبنت. او عم. او عمة، او خال. او خالة.

والكنى جائزة. ويستحب مخاطبة اهل الفضل ومن قاربهم بها. وكذلك ان كتب اليه رسالة. اوروى عنه. فيقال: حدثنا الشيخ. او الامام. ابوفلان. فلان، بن فلان. وما اشبهه

ومن الادب الايذكر الرجل كنيته فى كتابه. ولا فى غيره. الا اذا كان لا يعرف الابها. او كانت اشهر من اسمه.

و (عبد الله) — لم يكن ابن للمترجم. بل تكنى به. وجائز كثير كنية الرجل الذى له أولاد بغير أولاده. وجائز أيضا أن يكنى قبل أن يولد له. كأبى هريرة: وانس، وغيرها كثير من الصحابة والتابعين.

ثبت فى الصحيح: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم وجد علي بن ابى طالب نائما فى المسجد وعليه التراب: فقال: قم أبا تراب. قم أبا تراب، فلزمه هذا اللقب الحسن الجميل. وكانت أحب الاسماء اليه. اما كنيته الاصلية فابو الحسن.

واللقب هو ما أشعر بمدح. كزين العابدين. أو ذم. كأنف الناقة.

كان بنو قريع متى قيل لهم انف الناقة استحيوا ، حتى قال فيهم الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا بعد ذلك يتبجحون به ويقولون: نحن من أنف الناقة .

وبنو نمير كانوا يتبجحون بأسمهم أيضا حتى قال فيهم الشاعر :

فغض الطرف أنك من نمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فكانوا بعد ذلك اذا سئلوا قالوا من بنى عامر .

وقال جرير :

والتغلبي اذا تنحنح للقرى

حك استه وتمثل الا مثالا

فقالوا : لو طعنوا بعد هذا في استاههم ما حكوها (١)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اياكم وهذه الأسماء القبيحة . فما من مولود يولد الا ويحضره ملك وشيطان . فيقول الملك : سموه بكذا أسما حسنا . ويقول الشيطان : سموه بكذا اسما قبيحا .

وقال عليه السلام من آتاه الله وجها حسنا . واسما حسنا . وجعله في غير موضع شائن . فهو من صفوة عباده .

قدم هشام بن عبد الملك حاجا ايام خلافته . فقال : ائتوني برجل من الصحابة ، فقيل : قد تفانوا . قال . فمن التابعين . فاتى بطاوس اليماني . فلما دخل عليه . خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ، بل قال : السلام عليك . ولم يكنه . وجلس بأزائه . وقال : كيف انت ياهشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا . وقال : ياطاوس . ما الذي حملك على

(١) محاضرات ص ٤١

ما صنعت ؟ فقال : وما صنعت ؟ فازداد غضبه ، وقال : خلعت نعلك بحاشية بساطى . ولم تسلم على بأمرة المؤمنين ولم تكننى . وجلست بازائى . وقلت : كيف أنت ياهشام؟ فقال طاوس : اما خلع نعلى بحاشية بساطك ، فأنى اخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يغضب على لذلك . واما قولك : لم تسلم علي بأمرة المؤمنين . فليس كل الناس راضين بأمرتك . فكرهت أن اكذب . واما قولك لم تكننى : فان الله تعالى سمي اولياءه فقال : ياداود ، يايحي ، ياعيسى . وكني اعداءه . فقال : تبت يدا ابى لهب ، واما قولك : جلست بازائى . فانى سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول : اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال هشام : عظى ، فقال طاوس : سمعت من امير المؤمنين على بن ابى طالب رضي الله عنه « ان فى جهنم حيات كالتلال

ونقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته »

ثم قام وهرب[1] اه

*
* *

(سقى الله صوب غفرانه . وكساه ثوب رضوانه)

الجملتان خبريتان لفظا انشائيتان معنى . والسقى تناول المـاء . والصوب ،والصيب نزول المطر. ومنه حديث الاستسقاء . اللهم اسقنا غيثا صيبا .

و(الغفران) مصدر غفر ،والغفـور ، والغفـار . الساتر لذنوب عباده . المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم . واصله التغطية والستر .

و (رضوانه) بكسر الراء وضمها ، كما قرئ به فى قوله تعالى « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله »

---

(١) كشكول ص ٢٧٧

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه : ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ما لنا لانرضى يارب . وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول : الا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب واى شي أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا

والمعنى. أن الله ينزل عليه صوب رحمته حتى يعم جسده

فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

« بين الأطلال »

تأليف الشاب « احمد أفندي يوسف » الطالب بالمدرسة الخديوية ونجل حضرة يوسف افندي احمد مفتش الآثار العربية بوزارة الأوقاف — تلك الرسالة التي املاها عليه وجدانه السليم . وذاكرته القوية

ناجى فيها تلك الاطلال البالية . والأماكن المندرسه عما جال في خاطره من الحب الكامن في نفسه لتراث ابائه وأجداده . فنظرة واحدة في ذلك المؤلف الصغير الحجم الكبير الفائدة تدل دلالة واضحة على علو همته . وشريف عواطفه .

وتطلب من مؤلفها بعطفرية مصر . ومن مكتبتي المؤيد والهلال

—٠٠٠—